سورة آل عمران

١٥- قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾

القراءة : قراءة الجمهور " القَيُّومُ " بالواو . ورُوى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " الحيُّ القيَّامُ " . وقد قرأ هذه القراءة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضي الله عنهما ، وابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، والأعمش ، وأصحاب عبد الله ، وزيد بن على ، وجعفر بن محمد ، وأبي رجاء بخلاف ، وعلقمة بن قيس ، ورُوى عن علقمة أنه قرأ " القَيِّم " وزنه فيعل . وقرأ الحسن " الحيَّ القيومَ " بالنصب . وقال خارجة في مصحف عبد الله " القَيِّم " [1] .وروى الدُّوري في : جزئه قال حدّثني عمار بن نصر ،عن يونس بن بكير الشيباني عن بكير الشيباني ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر يقرأ : " ألم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيَّام " ، وحدّثنا أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " الحيُّ القيُّومُ " [2].

---

(١) انظر : المحتسب جـ ١ / ١٥١ ، ومختصر شواذ القرآن ص : ٢٥ ، وإعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري جـ ١ / ٢٦٥ / ٢٦٦ ، والمحرر الوجيز لابن عطية جـ ١ / ٣٩٧ ، وتفسير البحر المحيط جـ ١ / ٣٩٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ١ / ٣٧٣ / ٣٧٤ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٣ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢)رواه الدوري في جزئه ص : ٧٩ رقم ٢٧ .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " القَيُّومُ " بالواو ، ووزنه فَيْعول أى قَيْوم ، فاجتمعت الواوُ والياءُ وسبقت الأولى بالسكون فصارت ياء [٣] . وقال الأخفش : فإن " القيّوم " الْفَيْعُولُ ، ولكن الياء الساكن إذا كانت قبل واو متحركة قلبت الواو ياء ، وأصله " الْقَيْوُوم " ، والدَّيَّانُ : الْفَيْعَانُ ، والدَّيَّارُ : الْفَيْعَالُ ، وهي من " دَارَ يَدُورُ " وأصله " الدَّيَوارُ " ولكن الواو قلبت ياء [٤] . وحجة من قرأ " القيَّامُ" فعلى وزن فيعال، من قام يقوم ، لأن الله تعالى ، هو القيم على كل نفس ، ومثله من الصفة على فيعال الغيداق ، والبيطار ، وأصله : القيْوَام ، فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء ، وأُدغمت فيها الياء فصارت " القيَّامُ " ، ومثله قولهم : " ما بالدار ديّار " ، وهو فيعال من دار يدور وأصلها دَيْوار ، وأهل الحجاز يقولون للصَّرَّاع: الصَّيَّاع ، فعلى هذا ينبغى أن يحمل لا على فَعّال ، لأنه يجب أن يكون صوَّاغاً [٥] . وقال أبو البقاء العكبري : ولا يجوز أن يكون فَعَّالاً ، إذ لو كان كذلك لكانت القراءة قَوَّاماً ، لأن عين الكلمة واو [٦] . أما من قرأ " القَيِّمُ " على فَيْعل مثل سَيِّد ، والجمهور بالرفع فيهما ، قد قرئ بالنصب فيهما على إضمار أمدح أو أعنى . وقد حُكي الجرُّ فيهما ، قرأةً رديئة ساقطة ، إذ ليس في الآية وما يقرُبُ منها قبلها

قلت : إسناده ضعيف ، لأن فيه محمد بن إسحاق ، صدوق يدلس ، وفي هذا الإسناد رواه بالعنعنة ، وفيه يونس بن بكير الشيباني ، قال ابن حجر ، يخطئ . انظر : تقريب التهذيب ج٢/١٥٣/ ٣٩٤ .

قلت : له شواهد لمواضيع قراءة قيام ، فقد أخرجه عبد الله بن أبي داود عن طريق محمد بن يسار ، حدّثنا يحيى – ابن آدم ، وطرق أخرى. انظر: المصاحف ص٥٢، ٥١ .

(٣) انظر : إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري جـ ١ / ٢٦٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش الأوسط جـ ١ / ١٩٣ .

(٥) انظر : المحتسب جـ ١ / ١٥١ .

(٦) انظر : إعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٢٦٥ .

مجرورٌ ، فَتُحْمَلُ هذه الصفة عليه ، فإن قال : فلِمَ لا يكونُ وصفاً لقوله : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة / ٢٥٢] ، قيل : هذا لا يسوغُ لتباعدِ ما بينهما والفصلُ بأشياءَ أجنبيةٍ [٧] . قلت : القراءة المروية عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الصحابة والتابعين وغيرهم بلفظ " القيَّام " شاذة لمخالفتها رسم المصحف ، وضعف سندها ، ولم يقرأ بها أحد من القراء العشرة بل جاءت بألفاظ الشك والتمريض . وهو قوله : رويت . وقد كره الزجاج القراءة بخلاف ما في المصحف فقال : والذى ينبغى أن يُقرأ ما عليه المصحف ، وهو القيُّوم ، بالواو ، القيِّمُ جيد بالغ كثير في العربية ، ولكن القراءة بخلاف ما في المصحف لا تجوز ، لأن المصحف مجمع عليه ، ولا يعارض الإجماع برواية لا يعلم كيف صحتُّها [٨] . وقال ابن جرير : والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا في ذلك ، ما جاءت به قراءة المسلمين نقلاً مستفيضاً من غير تشاعر ، ولا تواطؤ وارثة ، وما كان مثبتاً فى مصاحفهم وذلك قراءة من قرأ " الحيُّ القيُّوم " [٩] .

١٦ – قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴿١٦١﴾ ﴾

القراءة : اختلف القراء في فتح الياء وضم الغين من قوله عز وجل : ﴿ يَغُلَّ ﴾ فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، بفتح الياء وضم العين ، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين [١٠] .

---

(٧) انظر : إعراب القراءات الشواذ للعكبري جـ ١ / ٢٦٦ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ١ / ٣٧٣ / ٣٧٤ .

(٩) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٣ / ٢٢٣ .

(١٠) انظر : السبعة ص : ٢١٨ ، والكشف جـ ١ / ٣٦٣ ، ومعاني القراءات القرآنية للأزهري ص : ٢٧٩ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٤٢ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٣٨٩ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٣ / ٣٩٥ ، والتيسير ص : ٧٦ ، ومعاني القرآن للأخفش جـ ١ / ٢٢٠ ،

ورُوى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " أن يَغُلَّ " . فقد روى الحاكم في المستدرك بإسناد فيه نظر قال : أخبرني محمد بن مؤمل بن الحسن بن عيسى ، ثنا الفضل بن محمد بن المسيب ، ثنا عيسى بن ميناء قالون ، حدَّثني أبو غزية محمد بن موسى بن القاضي ، ثنا إبراهيم بن إسماعيل الأشهلي ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " وما كان لنبي أن يَغُلَّ " بفتح الياء . وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [١١] قال الذهبي : بل واه. قلت : إسناده ضعيف جداً لأن فيه محمد بن موسى أبو غزية ، قال البخاري : عنده مناكير ، وقال ابن حبان : كان يسرق الحديث ، ويروى عن الثقات الموضوعات ، قال أبو حاتم : ضعيف ، ووثقه الحاكم ، وكذلك عيسى بن ميناء قالون ثبت في القراءة فيكتب حديثه في الجملة [١٢] .

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي : وروى مُعاذ بن جَبَل أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأه بفتح الياء ، وبه قرأ ابن عباس [١٣] .وقد روى أبو داود في سننه هذه القراءة " يَغُلَّ " بفتح الياء وضم الغين . ولكن لم ينسبها إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما جاءت في بيان سبب نزولها قال : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، حدَّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدَّثنا خصيف ، حدَّثنا مِقسم مولى ابن عباس ، قال : قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ في

والدر المصون جـ ٢ / ٢٤٧ ، والكشاف جـ١ / ٤٣٤ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٤ / ٢٠٦ ، والتبصرة ص : ١٧٥ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٣ / ١٦ .

(١١) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٣٥ .

(١٢) انظر : لسان الميزان جـ ٤ / ٤٠٧ / ٤٠٨ جـ ٥ / ٣٩٨ ، وميزان الاعتدال جـ ٦ / ٣٤٧ .

(١٣) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها جـ ١ / ٣٦٣ .

قطيفة حمراء فُقدت يوم بدر ، قال بعض الناس لعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أخَذها . فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ إلى آخر الآية . قال أبو داود : يَغُلَّ : مفتوحة الياء [١٤] .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " يَغُلَّ " فالمعنى : ما كان لنبيٍّ أن يَخُونَ أُمَّتَهُ، وتفسير ذلك أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، جمع الغنائم في غَزَاةٍ ، فجاءه جماعة فقالوا له : ألا تَقْسِم بيننا غنائمنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " لو أن لكم عندى مِثْلَ أُحُدٍ ذَهْبً ما منعتكم ديناراً أَتَروُني أَغُلّكم مَغْنَكُمْ " ؟ وأما من قرأ " أن يُغَلَّ" فهو على وجهين : أحدهما : ما كان لنبي أن يَغُلَّه أصحابه ، أي : يُخونُوه ، وجاء عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : " لا يخونَنّ أحَدُكم خيطاً ولا خِياطاً . والوجه الثانى : أن يكون " يُغَلَّ " بمعنى : يُخَوَّن ، المعنى : ما كان لنبيٍّ أن يخوَّنَ ، أي : يُنْسَب إلى الخيانة ؛ لأن نبيّ الله لا يَخُونُ إذ هو أمينُ الله في الأرض . وقال الأخفش الأوسط من قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ وقال بعضهم : " يُغَلَّ " وكل صواب – والله أعلم –لأن المعنى : أن يَخُونَ أو يُخَانَ . وقال أبو علي : قالوا في الخيانة : أَغَلَّ يُغِلَّ إغلالاً : إذا خان ولم يودِّ الأمانة، قال النمر بن تولب :

١٥–جَزَى اللهُ عَنَّا جَمْرَةَ ابْنَةَ نَوْفَلٍ
جزاءَ مُغِلٍّ بالأمانَةِ كاذِبِ [١٥]

---

(١٤) أخرجه أبو داود في : ٢٥ – كتاب الحروف والقراءات جـ ٤ / ١٧٠٨ رقم ٣٩٧١ ، والترمذي في : ٤٨ – كتاب تفسير القرآن ٤ – باب "ومن سورة آل عمران" جـ ٥ / ٢٣٠ رقم ٣٠٠٩ بإسناده ولفظه . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خُصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، وابن جرير في : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٤ /٢٠٦ رقم ٦٤٧٦ .

(١٥) انظر : معاني القراءات للأزهري ص : ٢٧٩ / ٢٨٠ ، ومعاني القرآن للأخفش جـ ١ / ٢٢٠ ، والحجة في علل القراءات السبع جـ ٣ / ٣٩٥ ، والمحرر الوجيز لابن عطية جـ ١/٥٣٦، والدر المصون

وقد اختار أبو علي الفارسي قراءة البناء للفاعل " أن يَغُلَّ " كما ورد في المصحف الإمام فقال حجة القراءة لمن قرأ " أن يَغُلَّ " . أنَّ ما جاء في التنزيل من هذا النحو أُسنِد الفعل فيه إلى الفاعل نحو : " ما كان لنا أن نشرك ﴿ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة يوسف/ ٣٨]و﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ﴾[سورة يوسف / ٧٦]. و﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[سورة آل عمران / ١٤٥] و ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾ [سورة التوبة / ١١٥] و﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [سورة آل عمران / ١٧٩] . ولا يكاد يجئ منه ما كان زيد ليضرب ، فيسند الفعل فيه إلى المفعول به ، فكذلك " ما كان لنبيٍّ أن يَغُلَّ " يُسند الفعل فيه إلى الفاعل . وروى عن ابن عباس أنه قرأ " يَغَلَّ " وقيل له : إن عبد الله قرأ " يُغَلَّ " ، فقال ابن عباس : بَلَى واللهِ ويُقتَل ، وروى أيضاً عن ابن عباس : قد كان النبيّ ، يُقتَل فكيف لا يُخوَّن [١٦] . وقال الفراء : ويقرأ بعض أهل المدينة " أن يُغَلَّ " يريدون أن يخان ، وقرأه أصحاب عبد الله كذلك : " أن يُغَلَّ " يريدون أن يُسرَّق أو يخوّن ، وذلك جائز وإن لم يقل يُغَلَّل فيكون مثل قوله : " فإنهم لا يكذِّبوك ويُكْذِبونك " . وقرأ ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي " أن يَغُلَّ " وذلك أنهم ظنُّوا يوم أحد أن لن تقسم لهم الغنائم كما فعِل يوم بدر . ومعناه : أن يتَّهم ويقال : قد غَلّ [١٧] .

١٧- قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴿١٦٤﴾ ﴾

القراءة : قراءة جمهور القراء ﴿ من أَنفُسِهم ﴾ بضم الفاء جمع نفس . وروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " من أَنفَسهم " بفتح الفاء من النفاسة . وقد

جـ ٣ / ٤٩ /٤٩٦ .

(١٦) انظر : الحجة في علل القراءات السبع جـ ٣ / ٣٩٦ .

(١٧) انظر : معاني القرآن للفراء جـ ١ / ٢٤٦ .

قرأ بها فاطمة ، وعائشة ، وابن عباس ، والضحاك ، وأبو الجوزاء ، وروى عليٌّ ، عنه ، عليه السلام ، أنا من أنفسكم نسباً وحسباً وصهراً ، ولا فى أبائي من آدم إلى يوم ولدت سفاح كلها نكاح والحمد لله [١٨] .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " من أَنْفُسِهم " بضم الفاء أى من جنسهم عربياً مثلهم ، وقال ابن عطية : معناه في الجنس ، واللسان والمجاورة ، فكونه من الجنس يوجب الأنس به وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن التفهيم وقرب الفهم ، وكونه جاراً وربياً يوجب التصديق والطمأنينة إذ قد خبروه وعرفوا صدقه وأمانته ، فبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من قبل أمهاتهم إلا نبي تغلب لنصرتهم . وحجة من قرأ " من أَنْفَسِهم " بفتح الفاء من النفاسة والشيء النفيس ، وقال الزمخشري : أي من أشرفهم . وقال ابن الجوزي : وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال :

أحدها : لكونه معروف النسب فيهم ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : لكونهم قد خبروا أمره وعلموا صدقه ، قاله الزجاج .

والثالث : ليسهل عليهم التعلم منه ، لموافقة لسانه للسانهم ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

والرابع : لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم ، قاله الماوردي وهل هذه الآية خاصة أم عامة ، فيه قولان :

---

(١٨) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٣٠ ، والمحتسب جـ ١ / ١٥١ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٣٥٥ ، وتفسير البحر المحيط جـ٣ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ ، والكشاف جـ ١ / ٤٣٥ ، والمحرر الوجيز جـ ١ / ٥٣٧ ، وزاد المسير جـ ١ / ٤٩٤ .

أحدهما: أنها خاصة للعرب ، روى عن عائشة والجمهور .

والثانى: أنها عامة لسائر المؤمنين [١٩] .

وقال أبو البقاء : " من أَنفَسهم " أى من أفضلكم) [٢٠] .

وقال ابن خالويه : وتأويل هذه القراءة " من أَنْفَسهم" بفتح الفاء من أشرفهم[٢١].

١٨- قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴿١٧٨﴾ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

وقوله تعالى :﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

وقوله تعالى :﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿١٨٨﴾ ﴾

القراءة : اختلف القُراء في الياء والتاء وكسر السين وفتحها في قوله تعالى : "ولا يحسبن " ، " ولا يحسبن الذين يبخلون " و " ولا تحسبن " و " فلا تحسبنهم " . فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو " ولا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا " ، " ولا يَحْسَبَنَّ الذين يبخلون " ، " ولا يِّحسبن الذين يفرحون " ، " فلا يَحْسِبُنَّهُمْ " ضم الباء في " فلا يَحْسِبُنَّهُمْ " . وكلهن بالياء وكسر السين في كل القرآن . وقرأ نافع ، وابن عامر " ولا يحسبن الذين كفروا " ، " ولا يحسبن الذين يبخلون " و " لا تحسبن الذين يفرحون " كل ذلك بالتاء ، " فلا

---

(١٩) انظر : تفسير البحر المحيط جـ ٣ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ ، والكشاف جـ ١ / ٤٢٦ ، والمحرر الوجيز جـ ١ / ٥٣٧ ، وزاد المسير جـ / ٤٩٤ .

(٢٠) انظر : إعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٣٥٥ .

(٢١) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٣٠ .

تحسبنهم " بالتاء وفتح الباء غير أن نافعاً كسر السين وابن عامر فتحها . وقرأ حمزة بفتح الباء والسين ، وكلٌّ ذلك بالتاء . وقرأ عاصم والكسائي كلَّ ما فى هذه السورة بالتاء إلا حرفَين قوله : " ولا يحسبن الذين يبخلون " ، " ولا يحسبن الذين كفروا " فإنهما بالياء غير أن عاصماً فتح السين ، وكسرها الكسائي ، ولم يختلفوا في قوله تعالى " ولا تَحْسِبَنَّ الذين يفرحون " أنها بالتاء . وقال أبو عليّ : قراءة ابن كثير ، وأبو عمرو : "ولا يحسبن الذين كفروا " ، " ولا يحسبن الذين يبخلون " ، " ولا يحسبن الذين يفرحون" ، " فلا يحسبنهم " بضم الباء في " يَحْسِبُنَّهم " ، وكلُّهن بالياء وكسر السين في كل القرآن [٢٢] . وروى أبو داود ، والحاكم ، وأحمد بن حنيل ، والدوري أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " لا تَحْسِبَنَّ الذين يفرحون .. " بالتاء وكسر السين وفتح الباء . وقد روى أبو داود بإسناد صحيح قال : حدّثنا قتيبة بن سعيد في آخرين ، قالوا : حدَّثنا يحي بن سُلَيْم ، عن إسماعيل بن كثير، عن عاصم بن لَقِيطِ بن صَبْرَةَ، عن أبيه لَقِيطِ بن صَبْرَةَ قال : كُنْتُ في وَافِدَ بني المُنْتَفِقِ - أَوْ في وَفْدِ بنى المُنْتَفِقِ - إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : فَلَما قَدِمْنَا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فَلَمْ نُصَادِفْهُ في منزله ، وصَادَفْنا عائشة ، أم المؤمنين قال : فأَمَرَتْ لنا بِخَرِيزَةٍ فَصنَعَتْ لنا ، قال : وأُتِينا بِقِنَاع — ولم يَقُلْ قتيبة القِنَاعَ ، والقِناعُ : الطَّبَقُ فيه تَمْرُ - ثم جاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : " هَلْ أَصَبْتُم شَيْئاً " أو "أُمِرَ لَكُم بِشَيءٍ " قال : قلنا : نعم يا رسول الله ، قال : فَبَيْنَا نحن مع رسول الله جلوس إذْ

---

(٢٢) انظر : السبعة ص : ٢١٩ / ٢٢٠ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٣ / ٣٩٨ / ٣٩٩ ، والكشف جـ ١ / ٣٧١ / ٣٧٢ ، والتيسير ص : ٧٧ ، والكشاف جـ ١ / ٤٥١ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٣ / ١٢٧ / ١٢٨ ، والمحرر الوجيز جـ ١ / ٥٥٣ ، وزاد المسير جـ ١ / ٥٢٥ ، ومعاني القرآن للأخفش جـ ١ / ٤٢٣ ، والكشاف جـ ١ / ٤٣٩ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٤ / ٢٤٧ والتبصرة ص : ١٧٧ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٣ / ١٧ / ١٨ / ٢٢ .

دَفَعَ الرَّاعي غَنَمَهُ إلى المُرَاح ، ومعه سَخْلَةٌ تَيْعَر فقال : " ما وَلَّدْتَ يا فُلانُ ؟ " . قال : بَهْمَةً ، قال : " فاذْبَحْ لَنَا مَكانَهَا شَاةً " . ثم قال : " لا تَحْسِبَنَّ " ولم يقل : " لا تَحْسَبَنَّ " ، أَنَّا مِنْ أَجْلِكَ ذَبَحْنَاها ، لنا غنم مائة ، لا نُرِيدُ أن تَزِيدَ ، فإذا وَلَّدَ الرَّاعي بَهْمَةً ذبحنا مكانها شاة " (٢٣) .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " ولا تحسبن الذين يفرحون ... " بالتاء وفتح الباء ، أنه جعل الفعل خطاباً للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن عليه نزل ، فهو المخاطب بأكثره ، فخوطب بذلك ، وعدّى الفعل إلى ضمير " الذين يفرحون " وهم المفعول الأول ، و " بمفازة " المفعول الثاني ، و " تحسبنهم " بدل من " تحسبن " الذي قبله إذا قرئا جميعاً بالتاء والياء ، وتكرار " فلا تحسبنهم " تأكيد أى فلا تحسبنهم فائزين . وحجة من قرأ بالياء وضم الباء أنه أضاف الفعل إلى " الذين يفرحون " لتقدم ذكرهم ، وعدّى فعلهم إلى نفسهم ، فهم المفعول الأول ، و " بمفازة " المفعول الثاني ، و" يحسبنهم " بدل من " يحسبن " إذا قرئا جميعاً بالياء . بمعنى : " لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين " ، " فلا تحسبنهم " تأكيد . وقال الأخفش الأوسط : وأما قوله : " لا تَحْسَبَنَّ الذين يفرحو بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تَحْسَبَنَّهُمْ " فإن الآخرة بدل من الأول ، والفاء زائدة ، ولا تعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء – يعني " لا تَحْسَبَنَّ " – ليس لذلك مذهب في العربية ، لأنه إذا قال : " ولا يَحْسَبَنَّ

---

(٢٣) صحيح . أخرجه أبو داود في : ١ – كتاب الطهارة ٥٥ – باب في الاستتار جـ ١ / ٦٩ / ٧٠ رقم ١٤٢ . وفي : ٢٥ – كتاب الحروف والقراءات ١ – باب جـ ٤ / ١٧٠٨ رقم ٣٩٧٣ .والحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٣٢ / ٢٣٣ .وصححه ووافقه الذهبي ، والدوري في : جزئه ص : ٨١ رقم ٢٩ . من حديث عبد الوهاب بن عطاء ، عن ابن جريج به .

وأحمد بن حنبل في : جـ ٤ / ٣٣ ، ٢١١ ، عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج به وأطول.

الذين يفرحون بما أتوا .. " فإنه لم يُوقِعْهُ على شيء . قلت : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، بالياء في كل القرآن . أما كسر السين وفتحها فقد تقدم ذكرها في سورة البقرة [٢٤] . وقال مكي : وحَسُن تعدّي فعل الفاعل إلى نفسه ، كما تقول : ظنتني أخاك ، وإنما يجوز هذا في أفعال الظن وأخواته ، ولا يجوز غير ذلك عند البصريين ، لو قلت : ضربتني وشتمتني ، فتعدل الفعل إلى نفسك ، لم يجز إنما هذا في هذه الأفعال ، لأنها داخلة على الابتداء والخبر ، كان وأخواتها ، ولما كانت " أن " يتصل بها ضمير الفاعل في المعنى ، فيتعدّى إليه ، جاز ذلك في هذه الأفعال ، لم يجز تَعدّي الفعل إلى المفعول ، وهو الفاعل ، لو قلت : ظن نفسي ذاهباً ، لم يجز ، كما لا يجوز مع " إن " لو قلت : إن نفسي ، لم يجز ، وإن أنا ذاهب ، لم يجز . وضُمّت الباء في " تحسبنهم " لتدل على الواو المحذوفة التي للجمع ، التي حُذفت لسكونها وسكون أول المشدد . وقد أثبتوا الواو مع المشدد في : " أتحاجّوني " [سورة الأنعام / ٨٠] ، وقامت المدّة مقام الحركة ، وإنما لم تثبت في " تحسبنهم " وتمدّ للتشديد ، لأنها قد حذفت مع النون الخفيفة ، في قولك : " لا تحسبن زيداً قائماً " . فلما حذفت الواو مع الخفيفة ولم تمدّ كان حذفها مع المشدد لازماً . وحَسُن ذلك ، لئلا يختلف الفعل ، وإنما لم تحذف الواو في " أتحاجّوني " في قراءة من شدّد ، كما حُذفت في " تحسبنهم " لأن النون في " أتحاجّوني " أصلها الحركة ، والإسكان عارض ، دخل للإدغام ، وليست كذلك نون " تحسبنهم " أصل الأول السكون لا الحركة ، والقراءة بالتاء وفتح الباء أحب إلي ، لما ذكرتُ من العلة ، ولأن أكثر القراء عليه . وقد ذهب إلى هذا الأخفش الأوسط [٢٥]

---

(٢٤) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي جـ ٣ / ٣٩٩ / ٤٠٠ / ٤٠١ ، والكشف جـ ١ / ٣٧١ / ٣٧٢ ، والكشاف جـ ١ / ٤٥١ ، ومعاني القرآن للأخفش جـ ١ / ٢٢٢ / ٢٢٣ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٤٣ .

(٢٥) انظر : الكشف جـ ١ / ٣٧١ / ٣٧٢ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٣ / ٤٠١ / ٤٠٢ ، ومعاني

وقال الزمخشري : وقرئ : لا تحسبن ، فلا تحسبنهم . بضم الباء على خطاب المؤمنين وقال الزجاج مبيناً معنى الآية وأسباب نزولها : " هؤلاء قوم من أهل الكتاب ، دخلوا على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وخرجوا من عنده ، فذكروا لمن رآهم في ذلك الوقت أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قد أتاهم بأشياء قد عرفوها ، فَحمِدهُم من شاهدهم من المسلمين على ذلك ، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وأقاموا بعد ذلك على الكفر ، فأعلم الله ، عز وجل ، النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أمرهم ، وأعلمه أنهم ليسوا بمفازة من العذاب ، أى ليسوا ببعيد عن العذاب . ووقعت " فلا تحسبنهم " مكررة لطول القصة ، والعربُ تُعيد إذا طالت القصة في حسبت وما أشبهها ، إعلاماً أن الذي جرى متصل بالأول ، وتوكيداً للأول ، فتقول : لا تظنَّ زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا ، فلا تظنه صادقاً ، تعيد فلا تظنه توكيداً ، ولو قلت : لا تظن زيداً إذا جاءك وحدثك بكذا وكذا صادقاً جاز ، ولكن التكرير أوكد وأوضح للقصة[٢٦].

القرآن للأخفش جـ ١ / ٢٢٣ .

(٢٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ ١ / ٤٩٧ / ٤٩٨ ، والكشاف جـ ١ / ٤٥١ .